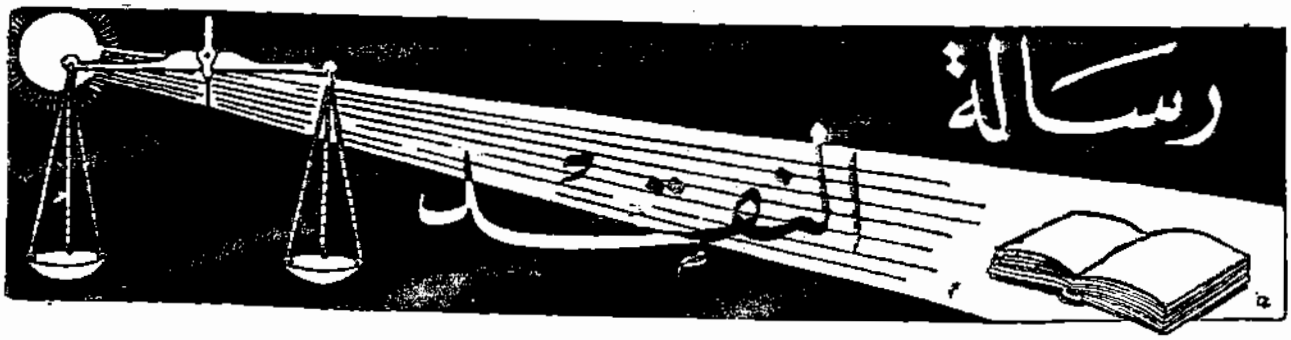

كتاب
« الإمتاع والمؤانسة »
بقلم الدكتور بشر فارس

صيف سنة ١٩٣٠ قدمت من باريس إلى القاهرة أطلب فيها كتباً ومخطوطات ؛ فاهتديت « دارَ المروبة » ، فعرفت أحمد زكي باشا ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ فكان بيني وبينه ما تشاء من الود : أكبره وبأنس بي . وقد وقع إليَّ فيما وقع من خزانة كتبه الخاصة كتاب «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي. فأقبلت عليه ، فإذا هو جليل نفيس . وكم تمنيت وتمنى « شيخ المروبة » أن يُنشر هذا المخطوط فتُذاع فوائده فتُدرَك على غير كلفة . وهذان الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين أقدما على طبعه وليس بين أيديهما سوى نسخة وبعض نسخة على جانب غير يسير من الاضطراب والتحريف (والنسختان مما خلفه زكي باشا) . فما أحرى الأستاذين بالتهنئة والشكر ! وكان الأستاذ أحمد أمين أخبر المستشرقين في مؤتمرهم (سبتمبر ١٩٣٨ ، بروكسيل) بأنه ناشر كتاب التوحيدي ، فاهتز القوم لذلك

ونشرُ كتابٍ ذاهب في التصرف بضروب الكلام ، جامع لمنثور المسائل من أدبية وفلسفية ، مَعَ ما يُفسد ألفاظه ويُسقم عباراته من جهة مسخ النسّاخ ، ليس بالمطلب السهل . ومن هنا ما جاء في ضبط الكتاب من فَرَطات . وقد بيّن طائفة منها صديق الدكتور زكي مبارك في العدد الماضي من الرسالة ، ولا عجب فإن الدكتور زكياً بأدب التوحيدي عارف وبأسلوبه بصير ؛ ألم يؤلف فيه فصولاً ؟

والحق أني كثيراً ما توقفت وأنا أقرأ «الإمتاع والمؤانسة» . فلا أرى بداً من التنبيه هنا على ما وقَفَني ، وإنما مقصدي تقويم الكتاب لوجه العلم وحدَه . وإني قاصر الاستدراك على الأربعين صفحة الأُوَل ، على سبيل التمثيل (والكتاب في ٢٢٦ ص) . ثم إني مقسم المآخذ على حسب المنهج الذي عليه يجري العلماء في تحرير المخطوطات .

* * *

١ — التباعد عن سياق النصّ :

ص ١٩ — ٢٠ : يروي التوحيدي كيف مثل في « الليلة الأولى » بين يدي الوزير ، فأخبره الوزير بأنه استقدمه للمحادثة والتأنيس . فيكتب التوحيدي (ص ٢٠ س ٨) : « فقلت : قبل كلِّ شيء أريد أن أجاب إليه يكون ناصري على ما يُراد مني . فقال (الوزير) : قل ما بدا لك . قلتُ : يؤذن لي في كاف المخاطبة وتاء المواجهة للفرار من مزاحمة الكناية ومضايقة التعريض . . »

هذا وأما الناشران الفاضلان فقد دوّنا ذلك هكذا : « فقلتُ قبلُ : كلُّ شيء أريد أن أجاب إليه يكون ناصري ... » . وهذا غريب : فإن التوحيدي لم يبدأ بالكلام ، وإنما قوله ذلك هو فاتحة نطقه في مجلس الوزير . فكيف يكتب : « فقلت قبلُ » . ثم إن غرضه أن يقول للوزير ما تفسيره : « أجل سأحادثك وأؤنسك ، ولكنْ قبلَ كلِّ هنالك شيء أريد أن أجاب إليه وهو أن تأذن لي في استعمال كاف المخاطبة وتاء المواجهة فترفع الكلفة وتيسّر لي الحديث إليك »

وعلى ذلك اضطراب الترقيم، وهو كثير تصيبه في كل صفحة. ولن أتمهل عند هذا المأخذ خشية الإملال . وحسبك وضع نقطة في آخر السطر الـ ١٤ من الصفحة الثانية ، وأخرى بعد الكلمة الرابعة ص ٧ س ٤ ، وأخرى بعد الكلمة الثانية ص ١٣ س ١١ ،

وأخرى بعد الكلمة العاشرة ص ١٤ س ٦ ، وأخرى بعد الكلمة السابعة ص ١٥ س ٢ ؛ ثم ضع شولة منقوطة بعد الكلمة الأولى ص ١٣ س ١١ ، ونقطتين بعد الكلمة العاشرة ص ١٤ س ٥ ، وبعد الكلمة الثانية ص ١٦ س ١٣ ؛ ثم ضع علامة استفهام بعد الكلمة السادسة ص ١٥ س ١٤ والكلمة الثانية ص ١٥ س ١٦

٢ — التجافي عن أسلوب المؤلف

ص ١٤ س ٢ ، ٣ : « وصيانة النفس حسنة إلا أنها كلفة محرجة إن لم تكن لها أداة تُجدُّها وفاشية (أي مال) تَمدُّها » — والوجه : تُمدُّها ، موازنةً لتُجدُّها؛ والتوحيدي معروف بإيثار الازدواج (راجع مقدمة الكتاب لأحمد أمين ص : ق ، و « النثر الفني في القرن الرابع » ج ١ ص ١١٣ ، ١١٥)

ص ٢٤ — س ٤ ، ٥ : « فأما الفلك وأجرامه المزدهرة في المعانقة العجيبة ، ومناطقه الخفيّة ، فقد...» — والصواب : « في معانقه » . والذي هداني إلى ذلك كلمة « مناطقه » ، إذ قلت : إن التوحيدي أراد الازدواج هنا . وإذا « المعانق » جمع لِمُعْنَقَة ومعناها القِلادة ، كما أن « مناطق » جمع لِمنطقة (وهو كل ما شُدَّ به وسطه كالنطاق : عن « لسان العرب ») . ثم استُعملت المِنطقة والقِلادة والمِعنقة في مصطلح علم الهيئة (راجع مثلاً : « مفاتيح العلوم للخوارزمي » مصر ١٣٤٢ ص ١٢٨ و « محيط المحيط » مادة : ن ط ق ، ق ل د ، ونص التوحيدي) . والدليل القاطع — بعد هذا كله — أن التوحيدي كتب بعد خمس عشرة صفحة (ص ٣٩ س ٤) : « الصعود إلى معانق الفلك »

٣ — ترك الناقص على حاله :

ص ١٤ س ٣ ، ٤ : « وتركُ خدمة السلطان غيرُ الممكن ولا يستطاع إلا بدِينٍ متين ... » — ما المعنى هنا ؟ وما غيرُ الممكن » ؟

ص ٢٥ س ٦ ، ٧ : « ما الفرق بين الحادث والمحدَث والحديث؛ فكان من الجواب أن الحادث ما يُلحظ نفسُه...» — فربما كان يحسن بالناشرين أن يهتديا بكتب الفلسفة ودواوين مصطلحاتها فيشرحا تلك العبارة، لغير قراء الفلسفة، على نحو شرحهما — في غير موطن — لألفاظ لغوية قد تدقّ على المتأدبين

٤ — التسرع في تصويب الأصل :

ص ١٧ س ١٢ : « فذهب هذا كله ، وتاه أهله » . وزاد الناشران في الهامش : « تاه اهله : هنكوا . وفي الأصل : باه » — والصواب عندي : « باد » ، فهو أقرب إلى مدلول العبارة ، فضلاً عن أن التوحيدي كتب بعدُ (ص ١١١ س ١٣) : « وقد عفت (اللغة) منذ زمان طويل ، وباد أهلها »

ص ٣٩ س ٣ : « الشهوات الغالبة ، والعقيدة الرديئة ، والأفعال القبيحة » . وفي الأصل : « العالية » — وألصق بمادة النص عندي : « الغالية أو العانية أو العائبة . ألا ترى التوحيدي يستعمل « الردئية » صفة للعقيدة ، و « القبيحة » صفة للأفعال، فأين ما يفيد التهجين في كلمة « الغالبة » ؟

٥ — قلّة التقصّي :

ص ٣٨ س ١٥ ، ص ٣٩ س ١ : « ولا تعجب فإنه إذا كانت الركاكة العائقة تمنع الناس من العدو ... لأن الحركة قد بطلت بالركاكة ... » . وهنا زاد الناشران في الهامش : « الركاكة : الضعف أو لعل صوابه : « الزمانة » إذ الركاكة كثيراً ما تستعمل في ضعف العقل والرأي ، والمراد هنا ما يخص البدن »

فإن صح أن الركاكة كثيراً ما تستعمل في ضعف العقل والرأي (راجع « لسان العرب » أول مادة ركك) فلا شك أنها استعملت أولَ الأمر في ضعف البدن ، وذلك على حسب سُنّة من سنن فقه اللغة : مدارها أن الألفاظ تتدرج من جانب الحسّ إلى جانب المعنى. والركاكة للبدن معروفة، من ذلك ما جاء في « باب ضعف الخلق » من « مختصر تهذيب الألفاظ » لابن السكيت.(بيروت ١٨٩٧ ص ٨٨) : « وارَكيك : الفَسل الضعيف (والفَسل بالفتح : الذي لا مروءة له ، عن « القاموس» والمروءة ههنا : الهمة) قال جميل بن مَعْمَر :

فلا تكونَنَّ ركيكاً ثنتلا لموماً وإن لاقيتَه تفهَّلا»

(وتفهّل : مشى مشياً ضعيفاً ؛ عن « القاموس ») . وعلى هذا فالذي جاء في الهامش لم يظفر بالتدبّر كله

٦ — التحكم فى رفض رواية النص :

ص٢٤ س١٣، ١٤: «وأما قولهم : هذا شيء خَلَق ، فهو مضمَّن معنيين (كذا): أحدهما يُشار به إلى أن مادته بالية ، والآخر أن نهاية زمانه قريبة » . وفى الأصل « سايلة » — فرفض الناشران الفاضلان رواية الأصل إذ وجدا فيها « تحريفاً وقلباً » . هذا وكان يحسن بهما أن يتبينا مُفاد كلمة « السايل » من دواوين الفلسفة ، وكلام التوحيدى فى هذا الموطن يدخل فى فنها . فالسايل فى الفلسفة العربية من السيلان الذى هو « عبارة عن تدافع الأجزاء ... » (« كشّاف اصطلاحات الفنون » كلمة « السيلان » و « السائل ») . وفى «تهافت التهافت» لابن رشد مثلاً (بيروت ١٩٣٠ ص ١٣٧ ، ١٤٠ ، ٥٧٢) يرد « السيلان » فى سياق الكلام على الفناء ، وتأتى صفة « سيّال » ضدّاً لصفة « ثابت » . وقد جاء « السايل » (لا : السائل) فى « كشاف اصطلاحات الفنون » من غير تفريق (واذكر قول الناطقة : « الألفاظ أعراض سيالة ») . وعلى هذا فرواية الأصل صحيحة إذ يجرى الحديث على الفناء فى أسلوب فلاسفة العرب

ص٢٥ س ١٤ : « كله من ديوان واحد وواد واحد وسبك واحد». وفى الأصل ، بدلاً من «وواد» : « وهو » — فرفض الناشران روايه الأصل إذ قالا « لا معنى لها » ، وكأنى بهما عدّا « هو » ضميراً منفصلاً لا اسماً مُعْرباً . ففى « لسان العرب » ج ٢٠ ص ٢٥١ س ١٦ : « هَوٌ من الأرض : جانب منها » . فالهَوّ إذن له معنى ، ومعناه يقيد مُفاد الوادى وهو اللفظ الذى آثره الناشران بسلائقهما المُحدَثة على سلامتهما ، ظناً منهما أنّ الهَوّ ليس فى اللغة

أذكر فى لغتنا العامية : « الهِوّ » ، وفصيحه : الهوة

***

ذلك ما حقّقتُه . ولعلّ الأستاذ أحمد أمين ينظر فى سطور الكتاب على منهج قويم هو به أدرى ، فيستدرك عليه . فإنى لا أشك — بعد الدكتور زكى مبارك — أنه لم يصرف إليه عند التحرير موفور همّه

بشر فارس

سكك حديد الحكومة المصرية

ليكن معلوماً للجمهور أنه بموجب اتفاق مع لوكاندات الوجه القبلى وشركة عربات النوم تصرف مصلحة سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية تذاكر مشتركة بأجور مخفضة للسفر بالسكة الحديد والمبيت فى عربات النوم والإقامة والأكل فى اللوكاندات وتشمل هذه التذاكر أجرة الإقامة فى اللوكاندات يومين وليلة أو ٥ أيام و ٤ ليال أو ٧ أيام و ٦ ليال أو ١٠ أيام و ٩ ليال

كوبونات السكة الحديد تعتمد للعودة بها فى خلال ١٢ يوماً من تاريخ صرفها أى مساء اليوم الحادى عشر ويتم السفر اليوم الثانى عشر

هذه التذاكر نافذة المفعول طول العام

وتشمل أجور الدرجة الأولى السابق ذكرها المبيت فى عربات النوم بين مصر والأقصر وأسوان وبالعكس والاقامة والأكل فى ونتر بالاس أوتل فى الأقصر وفى كتاراكت أوتل فى أسوان

إذا أراد حامل مجموعة التذاكر المشتركة الدرجة الأولى فى بحر المدة من ٢٦ يناير إلى ٣١ مارس استعمال عربات النوم فتحصل منه الشركة مبلغاً وقدره ٥٠٠ مليما فرق الأجرة سواء فى الذهاب أو الإياب

ولزيادة الايضاح الرجا مخابرة قسم النشر والاعلانات بالادارة العامة بمحطة مصر